محاضرات في مقياس مدخل إلى وسائل الإعلام

الأستاذة: سهيلة عظيمي

موجهة لطلبة المجموعة " أ" المحاضرات حول نظريات التأثير:

1. **مدخل إلى نظريات الاتصال: مفهوم النظرية –الفرق بين النظرية والنموذج-تصنيف النظريات.**
2. **نظريات التأثير المباشر: نظرية القذيفة السحرية**
3. **نظريات التأثير المحدود: نظرية إنتقال المعلومات على مرحلتين- نظرية إنتشار المبتكرات.**
4. **نظريات التأثير المعتدل : نظرية الغرس الثقافي - نظرية وضع الأجندة- الاستخدامات والاشباعات**
5. **النظريات المفسرة لتكنولوجيا وسائل الاتصال: نظرية الحتمية التكنولوجية لمارشال ماكلوهان.**

a. المحاضرة الاولى مدخل الى نظريات الاتصال : مفهوم النظرية ، الفرق بين النظرية والنموذج ، تصنيف النظريات.

تمهيد: إن مجموعة العوامل التي تشترك في تأسيس منطق النظرية العلمية، في المجالات الإنسانية والحياتية المختلفة، إنما في حقيقتها تنبع من بيئة الإنسان ومجموعة المنبهات والإستجابات التي تتكون وفقا لها، وقد إستطاع الإنسان تشخيص تلك العوامل

البيئية والإجتماعية والنفسية بعد ان عرف الكتابة، إذ ان الكتابة في شكلها الأول وبطبيعتها البسيطة البدائية كانت ضرورية لحياة الجماعة وأساسا لتطوير العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبمرور الزمن أصبحت الكتابة ذاكرة المجتمع ومكنت الإنسان من تنسيق جهوده، وتوحيدها في مجرى مشترك عام وجعلت تداول الخبرة ممكنا بين الأفراد والأجيال والمجتمعات .

وفي هذا المعنى الواسع، أصبحت أداة إتصال رئيسية بين بني البشر، كما انها في الجانب الثاني أصبحت أداة فكر وأداة لتبادل الآراء و الأفكار بين الناس.

ولقد جاءت المطبعة لتفتح الطريق أمام الثورة الصناعية بعد أن مهدت للثورة العلمية، وما ان دخلنا القرن العشرين حتى صار العالم يعيش ثورة شاملة في الاتصال والإعلام، وانحسرت المسافات الجغرافية أمام القدرات وتوظيفها لخدمة المعلومات وتبادلها بين المجتمعات، مما دفع علماء الإعلام والاتصال لتأسيس نظريات إعلامية مستنتجة من تلك النظريات الاجتماعية الأوسع تطبيقاتها في المجتمعات المختلفة.[1]

كما ظهرت العديد من النظريات التي تشتمل على القواعد والقوانين التي تتحكم في العملية الاتصالية، فهناك النظريات التي تفسر دور القائم بالإتصال، وهناك النظريات التي تشرح عملية الانتقال المعلومات على مرحلتين، وهناك نظرية مارشال ماكلوهان التي تشرح دور الوسيلة وأهميتها في عملية الاتصال[2]

كما لجأ الباحثون في مجال الاتصال إلى استخدام فكرة النموذج model من أجل تحليل عملية الاتصال وفهم المتغيرات الفاعلة فيها بصورة أكثر دقة وتنظيما.

فما هو مفهوم نظريات الاتصال؟ وما الفرق بين النظرية والنموذج الاتصالي؟ وهل يمكن التحدث عن نظرية عامة للإعلام والاتصال؟ وما هي أهم أسباب عدم وجود نظريات محددة في بحوث الاتصال؟ وهل وقف الفكر الاتصالي العربي متفرجا أم مترجما دون إسهام في هذا الحقل؟

I-مفهوم نظرية الاتصال:

---

[1]-محمد البخاري:الإعلام و التبادل الإعلامي،معهد طشقند الحكومي العالمي للدراسات الشرقية،2005،ص131

[2] - مي العبد الله: نظريات الاتصال (بيروت، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، 2006)، ص 13

إن مفهوم النظرية THEORY، بوجه عام، يتسع ليشمل أكثر من معنى، فالنظرية قد تعني:خطة عقلية تم التأكد من صحتها بالملاحظة والتجربة أو مجموعة من المبادئ الأساسية للعلم وتطبيقاته، أو هي معرفة مركزة أو مختصرة لأي فن بما يقابل تطبيقه، وقد تعرف بأنها شرح مقترح أو فروض صممت لتفسير الظاهرة، وأيضا تعرف بأنها تأمل أو افتراض قبلي غير مكتمل لفكرة معينة، أو هي ترتيب النتائج في شكل نظام معين يتضمن رؤية لموضوع محدد. وتختلف النظريات في العلوم التجريبية عن النظريات في العلوم الإنسانية، ذلك أن العلوم الطبيعية ترتكز على النظريات التي تشرح أسباب الأشياء أما العلوم الإنسانية فتبحث في النظريات التي تصف كيفية تصرف الناس بصفة دائمة أو غالبة على نحو معين، غير أن التمييز بين الشرح والوصف ليس تمييزا قاطعا، فعلماء النفس مثلا، قد يبحثون نظريات المعرفة لتأكيد التركيب الفطري، للعمليات العقلية (وصف لأمور سلفا)، بينما يبحث علماء الاقتصاد-العملية الاقتصادية بأشكال ميكانيكية صارمة غير مقصودة سلفا، وبصفة عامة، لا يمكن فحص البشر كوحدة متكاملة مثلما يحدث في حالة فحص كل العناصر (للظاهرة الطبيعية)، كما أن المتغير الاجتماعي يصعب إخضاعه لتجارب معملية[3].

وتشير **"مي العبد الله"**، في كتاب "نظريات الاتصال" إلى مجموعة من التعريفات المحددة لمفهوم النظرية في دراسات الإعلام والاتصال وهي: [4]

النظرية هي: "المفاهيم التي يتوصل إليها الباحث بناء على ملاحظة لتجربة أو مجموعة تجارب أو حدث أو مجموعة أحداث." فأستاذ الاتصال الذي يطلب من تلاميذه محاولة البحث "المفاهيم" عن تفسيرية ووصف لأحداث اتصالية معينة إنما يمارس معهم كمارين على بناء النظرية. لأنهم يصفون ما يعتقدون أنه يحدث في العملية الاتصالية.

-النظرية هي:"وصف لتجربة معينة بناء على ملاحظة منظمة". هي تشير إلى "التراكمية النظرية التي تساعد على فهم العملية الاتصالية".

-النظرية تعني: "خطة عقلية تم التأكد من صحتها بالملاحظة والتجربة".

-النظرية هي:"المعارف التي تكون في مجموعها جملة من الحقائق".

---

(3) حسن إبراهيم مكاوي، بركات عبد العزيز: المدخل لعلم الاتصال، الكويت، منشورات ذات السلاسل، الطبعة الأولى، 1995)ص 64-65.

(4) مي العبد الله: نظريات الاتصال (بيروت، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، 2006)، ص 14.

-النظرية هي:"شرح مقترح أو فروض صممت لتفسير ظاهرة معينة".

-النظرية هي:"مجموعة افتراضات بعضها ببعض، وتقدم وجهة نظر منتظمة حول ظاهرة معينة من خلال شرح العلاقة بين المفاهيم والأفكار المتعلقة بهذه الظاهرة" وعلى الرغم من اختلاف تعريفات الباحثين في الدراسات الإعلامية والاتصالية، لمفهوم النظرية، ترى **"مي العبد الله** " أنها تجمع على أن الهدف منها هو الوصول إلى استنتاجات علمية تصف علاقات وظيفية بين متغيرات يتم قياسها أو استقراؤها، ويسبق ذلك فروض علمية يضعها الباحث لمعرفة العلاقة بين تلك المتغيرات البحثية كما يؤكد جريك (1983)، بهدف الوصف أو التنبؤ أو التحكم في الظاهرة المدروسة[5] .

ويرى كل من حسن إبراهيم مكي وبركات عبد العزيز محمد، أن الفكرة الجديرة بالتأكيد عليها تتمثل في أننا يجب أن نأخذ النظرية في مجال الاتصال والعلوم الإنسانية عموما بنوع من التحفظ، وأنها لا تعني هذا المدلول العلمي الصارم الموجود في العلوم الطبيعية، بل أننا لا نبالغ إذا قلنا أن هناك نوعا من (التجاوز) عندما نقول "نظرية الاتصال"، وقد انعكست هذه الفكرة بوضوح على محاولات تعريف المقصود بهذه النظرية

فمعظم أدبيات الاتصال تجاهلت وضع مثل هذا التعريف، وبعضها يتضح فيه الغموض والخلط، ولا يوجد بعد تعريف متفق عليه لمعنى نظرية الاتصال، رغم أن هذا المفهوم[6]"نظرية الاتصال" لا تكاد تخلو منه معظم الكتب والمؤلفات في هذا المجال.

وقد عرف حسن إبراهيم مكي، نظرية الاتصال مع الأخذ بكل هذه الأمور أنها:"تقرير لمبدأ تغلب عليه صفة العمومية، مستمد من نتائج دراسات علمية منظمة تناولت عملية الاتصال من منظور معين سواء كان ذلك بشأن علاقة وسائل الاتصال بالسلطة، أو بشأن نظام عمل هذه الوسائل ودورها في المجتمع"[7].

إن من باحثي الإعلام والاتصال من لا يزال يؤيد وجهة النظر التي تقول أن العلم ينتج نظرية رئيسية قابلة للتطور في المستقبل، وقد تكون حداثة الاتصال الجماهيري مقارنة بغيره من حقول البحث الإنسانية الأخرى، وحداثة الدراسات الأكاديمية، من أسباب نقص

---

[5] مي العبد الله: نظريات الاتصال، ص 14-15.

[6] حسن إبراهيم مكي، بركات عبد العزيز: مدخل إلى علم الاتصال، ص 66-67.

[7] حسن إبراهيم مكي، بركات عبد العزيز: (المدخل لعلم الاتصال)، ص 67.

النظريات الجيدة في مجال الإعلام والاتصال. ولكن الأهم من ذلك هو طبيعة الإعلام والاتصال بوصفه نشاطا إنسانيا، إذ لا يمكن دراسة ظاهرة الإعلام والاتصال دراسة علمية عملية تتحكم في جميع متغيرات البحثية مثلما هو الحال في الظاهرة الطبيعية[8].

2. **الفرق بين النظرية والنموذج:** يعرف محمد عبد الحميد النموذج بأنه عبارة عن بحث " في تحديد العناصر الأساسية لأي بناء أو عملية، و العلاقة بين هذه العناصر أو هو إعادة تقديم هذا البناء ليكون دليلا لتحليل العناصر و العلاقات بينها و ذلك، للإسهام في تبسيط المعرفة وتنظيمها وشرح الظواهر العلمية ومساعدة الباحثين على التغيير والتوقع.[9]

وعرفت جيهان رشتي النموذج " محاولة لإعادة خلق العلاقات التي يفترض وجودها بين الأشياء أو القوى التي ندرسها و ذلك في الشكل مادي أو رمزي.[10]

يوضح كل من "واتر سيفرين" و"جيم تنكارد"، طبيعة تعريف النموذج. على أنه تمثيل مبسط ونظري للعالم الواقعي كما يحدث كثيرا أنواع من الخلط والغموض بين استخدام وطبيعة مفهوم كل من النموذج Model،ومفهوم النظرية theory،حيث لا يمكن أن نعتبر النموذج، نظرية على الإطلاق، ولكن ذلك يحتم علينا توضيح ماهية النموذج ؟ وبحيث الباحثان على تساؤلاتهما مؤكدين على أن النموذج لا يمكن اعتباره إلا عملية أو نصيحة تفسيرية في حد ذاتها، ولكنها (النماذج) تساعد في تكوين بعض النظرية وتشكيلها، كما أنها تقوم بطرح واقتراح علاقات وفروض وتصورات، وغالبا ما سيحدث بين الباحثين غموض ولبس بين العلاقات المتواصلة بين كل من النماذج أو النظريات، والسبب بالطبع يرجع إلى أن العلاقات بين كل من النموذج والنظرية قريبة ومتداخلة جدا.

ومن هذا المنطق، يستند كل من "سيقر" وزميله إلى التصورات الكلاسيكية عن نماذج الاتصال التي حددها "كارل دويتش"، مع بداية الخمسينات حينما عرف النموذج بأنه بناء من الرموز التي تستخدم وتفترض العديد من النقاط والعلاقات العامة حول عملية أو بناء محدد. ولهذا السبب فإن النموذج يعتبر شكلا من العناصر المختارة والمجردة، والتي

---

[8] مي العبد الله: نظريات الاتصال، ص 15-16.

[9] محمد عبد الحميد: نظريات الإعلام و اتجاهات التأثير (القاهرة: عالم الكتب، ط 2، 2004.)، ص 61.

[10] رحيمة عيساني: المدخل إلى علوم الإعلام و الاتصال، محاضرة مقدمة لطلبة سنة أولى إعلام و اتصال، كلية الحقوق، جامعة باتنة، السنة 2004/2005.

يمكن استخدامها بصورة أكثر عند معرفة دراسة الواقع ذاته، ولكنها لا توجد في الواقع بصورة كلية، وسبب اختيار الباحثين عدد من النقاط والعمليات أو البناءات (مثل وسائل الاتصال الجماهيري ومؤسساتها) ويجب أن يشمل هذا الاختيار دراسة عدد من النماذج. التي تعتبر بمثابة عدد من المقاييس والأحكام ومعرفة العلاقات المتداخلة والمشكلة لكل من العمليات والبناءات المراد دراستها، ولذا فإن النظرية تشمل عناصر ومحتويات الكثير من النماذج باعتبارها أداة تصويرية وتحليلية وتفسيرية[11].

وبإيجاز تهدف النماذج إلى تزويد النظريات بالأطر المرجعية، التي ترتبط بالمشكلة قيد البحث والدراسة، ولا تؤدي دائما إلى تحقيق درجة عالية من التحقق والتنبؤ، ولكنها تساعد على تقديم تفسيرات لأنماط كثيرة من المعرفة والحقائق التي لم نكن قد توصلنا بعد إلى معرفة كاملة وواقعية حولها. ولذا فإن مهمة النماذج. تساعد أيضا في طرح مجالات بحثية جديدة، كما أن فشل النموذج في تحقيق هذه المهمة غالبا ما يؤدي إلى اختياره والتحقق منه وتطويره في المستقبل وبالطبع، أن آراء كل من **"ستيفرين" و"تانكارد" و"ديتش"**، باعتبارهم من العلماء والباحثين في مجال وسائل الإعلام حول التميز بين كل من النموذج والنظرية تؤكدها بالفعل تحليلات علماء الاجتماع، ولا سيما المتخصصين في المناهج والنظريات السيكولوجية Methods Sociologicalأمثال **"ماكس فيبر"** وغيره من رواد المدرسة الألمانية مثل **"فريدينارد تونيز"**، على سبيل المثال، عندما طرحوا فكرة النموذج الأول مرة في المثالي واعتبره بمثابة أداة تصويرة أو افتراض نظري يطرحه الباحث مسبقا من أجل التحقق ودراسة عدد من العمليات والبناءات أو الظواهر أو المشكلات المراد حلها في الواقع[12].

3.تصنيف النظريات : ظهرت عدة تصنيفات لنظريات ومقاربات بحوث الاتصال وهذه التصنيفات يمكت تلخصيها في التالي:

- **تصنيف للنظريات حسب عناصر العملية الاتصالية: وهي**

- نظريات تتعلق بالقائم بالاتصال: مثل نظرية حراس البوابة-نظرية تدفق الاتصال عبر مرحلتين

---

[11] عبد الله عبد الرحمن: سوسيولوجيا الاتصال والإعلام (القاهرة، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى 2002)، ص 75-76.

[12] عبد الله عبد الرحمن: سوسيولوجيا الاتصال والإعلام، ص 76.

- نظريات تتعلق بالوسيلة: مثل انتشار المبتكرات- الحتمية التكنولوجية
- نظريات الجمهور أي بالمستقبل:مثل: الغرس الثقافي- الاستخدامات والاشباعات-
- نظريات تتعلق بالمحتوى مثل ترتيب الاولويات.

- **تصنيف النظريات حسب درجات التأثير وتقسم إلى :**

- نظريات التأثير المباشر: مثل القذيفة السحرية
- نظريات التأثير المحدود مثل تدفق الاتصال على مرحلتين
- نظريات التاثيرلل طويل المدى مثل الغرس الثقافي
- نظرية التأثير القوي نظرية الحتمية التكنولوجية